نشأة الصحافة الساخرة في مصر في القرن التاسع عشر الميلادي أبو نظارة أنموذجًا

نهى عبد العاطي عايش محمد

المعيدة بقسم التاريخ

كلية التربية – جامعة عين شمس

www.mercj.journals.ekb.eg

الملخص:

نشأت الصحافة الساخرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وخاصة خلال عهد الخديوِ إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩م) والذي أتاح قدرًا من الحرية ساعد على ظهور الصحف وتطورها، فكانت الصحف الساخره إحدي الصحف التي ظهرت في هذه الفترة. وكان رائدها "يعقوب صنوع" صاحب جريدة "أبو نظارة" الذي بذل قصاري جهده لظهور صحيفته الكاريكاتورية الساخرة على أفضل شكل، وإن واجهته بعض الصعوبات التي أدت لنفيه ومنعت دخول صحفه إلي مصر، لكنه استطاع بحيله الكثير أن يصلها إلي الشعب، وتميزت بأنها صحيفة سياسية ساخرة تناولت كافة أوضاع المجتمع المصري بأسلوب تهكمي ساخر مستخدمه ألفاظًا عامية بسيطة لتصل لكافة طبقات الشعب. ولم تكن صحف أبو نظارة الوحيدة في مجالها في مصر، فكانت هناك صحيفتا "التنكيت والتبكيت، والأستاذ" للسيد "عبدالله النديم"، بالإضافة إلي بعض الصحف الساخرة الأخري التي ظهرت في تسعينيات القرن التاسع عشر.

middleeast2017@hotmail.com
M.E.R.C
ISSN 2536-9504

Abstract:

The satirical press originated in the second half of the ninteenth century, especially during the reign of Khedive Ismail(1863- 1879), which provided a measure of freedom that helped the emergence and development of newspapers. The pioneer, "Yaqub Sanua" the owner of the newspaper "Abu Nazzara", who did his best to the emergence of his newspaper satirical caricature in the best form, although faced with some difficulties that led to his exile and prevented the entry of his newspapers to Egypt, but he managed by many tricks to reach the people, and was characterized as a political newspaper Cynical addressed all the conditions of the Egyptian society in a sarcastic manner cynical using simple slang words to reach all classes of people. Abu Nazzara's newspapers were not the only ones in their field in Egypt. There were the journals of "Mr. Abdullah Al-Nadeem", as well as some other satirical newspapers that appeared in the nineties of the nineteenth century.

middle.east.research@hotmail.com
M.E.R.C
ISSN 2536-9504

يُعد الضحك غريزة اجتماعية فهو أحد أشكال حب الحياة والإقبال عليها بتناسي آلامها، ولما كانت الصحافة في معناها العام هي لسان حال الجمهور، فإن الصحيفة الفكاهية الساخرة هي مزاجه. والفكاهة هي إحدي المقاييس الدقيقة للحكم على حضارة الشعوب؛ فالنادرة التي تضحك الرجل البدائي ليست هي نفسها التي تضحك الرجل المتمدن(١).

وتغيرت أساليب الضحك على مر العصور، فكان قديمًا الظريف النديم وهو الشخص ابن الحظ الذي يروي النادرة، ثم تطور هذا الشخص في العصر الحديث فانسحب من بين الناس ليقوم بدوره على نطاق أوسع خلف المطبعة التي تُخرج الصحيفة الفكاهية الساخرة، وبهذا انتقلت الفكاهة من الفكاهة المسموعة إلي الفكاهة المقروءة. (٢) ومن هنا تأتي أهمية التعرف على الصحافة الساخرة وصانعيها.

تعريف الصحافة الساخرة وأسباب ظهورها:-

ظهرت الصحافة الساخرة في مصر في آخريات عهد الخديوِ إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩م)، فروح العصر الذي نشأت فيه الصحف الأهلية دعت إلي شكل جديد من الصحافة لم يعرف من قبل في الشرق، وخاصة بعد خروج الخديوِ عن مساره الطبيعي نحو التقدم، لذلك فإن بعض المجلات حديثة النشأة التي توسعت بشكل ملحوظ في عهده والتي أثنت عليه لإنجازاته الكبيرة في البداية انقلبت عليه في النهاية، وجاءوا للتشكيك في نواياه الليبرالية وانتقاد حكمه التعسفي وكذلك ميله البارز إلي الإسراف، فظهرت الصحافة الساخرة في مصر، وهي البلد التي أشيعت فيها الأزمات، وتباينت فيها الأفكار والآراء. (٣) كما كانت الصحف الساخرة أحد وسائل محاربة الاحتلال الأجنبي، فما أن بدأ الاستعمار الأوروبي يدق أول مسمار في استقلال مصر زادت هذه الصحف والمجلات الهزلية بشكل ملحوظ، وأخذت الصحافة

الساخرة في بداية عهدها من صحافة الغرب، واقتبست أسلوبها في السخرية والنقد اللاذع لأحوال المجتمع [٤].

والأسباب التي أدت إلي ظهور هذا النوع من الصحف هي نفسها التي أدت لظهور الصحافة الأهلية وتطورها، باعتبار الصحافة الساخرة هي أحد أنواع الصحافة الأهلية، وقد تأثرت بما تأثرت به من عوامل، وخاصة وجود السيد "جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨-١٨٩٧م)" في سبعينيات القرن التاسع عشر في مصر، والذي كان له دور كبير في إثارة تيار للفكر الحر والذي تتلمذ على يده العديد من طلاب العلم، كما إنه تبني عدد من الصحفيين وشجعهم على إصدار صحفهم الخاصة، ومن بين هؤلاء شخصيات لعبت دور كبير في نشأة الصحافة الساخرة وتطورها مثل "يعقوب صنوع، عبدالله النديم، وغيرهما"، كما أن حركة التنوير التي تبناها الأفغاني كان لها أثر كبير في تعويد الناس على الجرأه في الأحكام، وتكوين جيل قادر على الشرح والتحليل وتوليد الأفكار الجديدة ومتمكن من اللغة العربية. وهذا ما أثر على أعلام الصحافة المصرية وتكوينهم الفكري، فأدى إلي نشأة الصحافة الساخرة [٥].

وهناك سبب آخر أدي لظهور هذا النوع من الصحف، وهو موقف الخديوِ إسماعيل المضطرب من الصحافة والصحفيين عامة، حيث حاول الخديوِ إسماعيل أن يضفي الطابع الأوروبي على مصر فأتاح قدر من الحرية التي سمحت بوجود صحف ذات طابع سياسي، فكان حينًا يشجع الصحافة ويأمر بإصدار الصحف ولا تلبث هذه الصحف إلا فترة قصيرة ويأمر بإغلاقها، فكلما كانت الصحيفة مؤيده له تنال الاهتمام المادي والمعنوي والعكس، وحينًا آخر يشجع الصحف على الكتابة ويسمح لهم بنقد الباب العالي والدول الأوروبية بحرية تامة، وما أن تتحسن علاقته بهم يعود ليأمر بوقف وغلق هذه الصحف ومعاقبة الصحفيين.[٦] وهذا لم يرق لبعض الصحفيين

فاتخذوا أسلوب جديد في الكتابة، وهو أسلوب الرمز بدون ذكر للأسماء المهة وإطلاق ألقاب عليهم تجنبًا لغلقها، كما استخدموا الرسوم الكاريكاتورية للتعبير عن أفكارهم وبهذا ظهرت الصحافة الساخرة.

وتطورت الصحف الساخرة عدة مرات، فانتقلت من الطور البدائي الذي كان مجرد تدوين للنكات والقفشات إلي الطور المتحضر حيث الفهم الجيد للفن الصحفي وللكلمة المكتوبة، مع العناية باللغة والاقتراب إلي الفصحي والمزيد من الدقة، بالإضافة إلي الرسوم الكاريكاتورية، وكان لكل جريدة لونها الخاص بها الذي ميزها عن غيرها. والجدير بالذكر أن الصحف في أيامها الأولي كانت أكثر جرأة في القول(٧).

وقد قامت الصحف الساخرة بدورها على أكمل وجه في شتي المجالات وخاصة في الجانب الوطني، فلما كان الاحتلال وجهت الصحف اهتمامها نحو السياسة، فخلال العقد الأول للاحتلال البريطاني لمصر ظهرت عديد من هذه الصحف، وفي مقدمتها "مجلة الببغاء" لصاحبها "نجيب غرغور" – لبناني الأصل – وكانت تحتوي على فكاهات وطرائف، و"فواكه الأرواح" لمحررها "نقولا زكا"، و"مجلة السرور" لصاحبها "نقولا عبد المسيح" ومحررها "جورجي ميرزا"، وصدرت بعد ذلك مجلة "الثمرة" ومجلة "النديم" (٨).

أما عن أهداف وفلسفة هذا اللون من الصحافة، فيمكن استنتاجها من خلال شعارات وافتتاحيات بعضها، فنلاحظ في جريدة "التنكيت والتبكيت" أن هدفها كما حدده النديم "أنها تتضمن حكمًا وأدبًا ومواعظ ومضحكات بعبارات سهلة، وأن هجومها تنكيت ومدحها تبكيت، ولغتها سهلة لا تحتاج لقاموس لفهمها ولا تلزم مراجعة الجغرافيا والتاريخ". وأوضح "يعقوب صنوع" صاحب جريدة "أبو نظارة" "أنها مثل العسل الذي يوضع على حواف إناء الدواء، فالفرد إذا علم بمرارة الدواء لن يشربه وما أن يذوق حلاوة العسل يتناوله فيشفي، وهي بذلك غش وعين النصيحة في ذات

الوقت".[٩] وقد أعلن يعقوب صنوع في العدد الأول لجريدته أنه يعمل على نشر جريدة لتزيل البؤس والجهل عن أرواح المصريين، ولتنشيط عقولهم، وأشاد بأهمية الفكاهة لزيادة الوعي، وأوضح أن المجلة الساخرة يمكن أن تكون أداة مهمة لنقل الأحداث التاريخية والشئون الجارية[١٠] .

وبهذا يمكن القول أن الصحافة الساخرة هي أحد ألوان الصحافة الشعبية التي ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وخاصة في أواخر عهد الخديوِ إسماعيل لما اشتمله من أحداث وتطورات دعت لظهور هذا النوع من الصحف، وهدفها هو تقديم الحكم والمواعظ للشعب بلغة سهلة يسيره يسهل على الفقير والغني قراءتها وفهمها والتأثر بها، كما تضمنت في بعضها على رسوم كاريكاتورية لجذب الانتباه، كما كانت وسيلة "لمحاربة الاحتلال، والهجوم على القصر ورجاله، وانتقاد العادات الاجتماعية الشاذة والسيئة".

ومن الصحف الهزلية الساخرة التي ظهرت في مصر وذاع صيتها ولعبت دورًا كبيرًا في حياة المصريين جريدة "أبو نظارة" لصاحبها يعقوب صنوع، وجريدة "التنكيت والتبكيت" ومجلة "الأستاذ" لمحررهما عبدالله النديم.

صحف أبونظارة (١٨٧٧: ١٨٩٢م):-

شهد عام ١٨٧٧م صدور أول جريدة ساخرة في مصر، وهي مجلة "أبونظارة زرقاء" لصاحبها يعقوب بن صنوع، وهو أحد تلاميذ السيد جمال الدين الأفغاني الذي أثر فيه وفي فكره. وهي أول صحيفة كاريكاتورية تصدر باللغة العربية لانتقاد السياسة الرسمية، أتقن فيها صاحبها النقد السياسي إتقانًا رائعًا، وقد نالت تأييد كل من السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده. [١١] وقبل الحديث عن الجريدة وسماتها وأعدادها وكيف تغير أسمها أكثر من مرة؟ لابد من تعريف صاحبها ونشأته، وكيف أصدر الجريدة؟

ولد "يعقوب روفائيل صنوع" في عام ١٨٣٩ من أبوين يهوديين وهبته والدته للإسلام [١٢]، وكان والده يخدم الأمير "يكن" حفيد محمد علي. درس يعقوب التوراه والإنجيل والقرآن، وأجاد عدة لغات وأتقن عدد من الفنون كالموسيقي والرسم والرقص، وسافر إلي إيطاليا لدراسة الفنون والآداب لمدة عامين من ١٨٥٣ إلي ١٨٥٥، ومن هنا أُتيح ليعقوب صنوع الإطلاع على ثقافات مختلفة والتي أثرت على تكوين مداركه[١٣].

وعندما عاد "ابن صنوع" من أوروبا وجد أن قضاء الله قد نزل بوالده، فوجد نفسه رب الأسرة وليس له ما يعيش به وإن كان يملك أربع لغات كانت رأس ماله، فعمل مدرسًا في إحدي المدارس الحرة، وبهذا وجد وقتًا لإتقان ما تعلمه من لغات وأضاف إليها لغات أخري، فلما بلغ الخامسة والعشرين أصبح يجيد ثماني لغات كتابةً وحديث، فقد أتقن "العبرية والعربية والتركية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والبرتغالية والأسبانية والمجرية والروسية والبولونية". ويقال أنه أتقن ما يقرب من ثلاث عشرة لغة، والدليل على ذلك جريدته التي صدرت في باريس بأكثر من لغة، ومن طرق العيش الآخري التي اتبعها ابن صنوع إنه أخذ ينتقل من قصر إلي قصر ومن بيت إلي آخر ليعلم أبناء الخديوِ والباشوات صبيان وبنات اللغات والموسيقي والرسم [١٤].

وأُتيح "لابن صنوع" التنقل بين فئات المجتمع المصري المختلفة، فتنقل بين الفئات الشعبية من عمال وحرفيين، إلي الطبقة المتوسطة التي هو منها ثم إلي الطبقة الأرستقراطية وحياة القصور، وصولًا إلي الجاليات الأوروبية والتي ربطه بهم صلات جيدة، ولمعايشته لهذه الفئات أثر كبير في تكوين وبلورة فكره، حيث عرف تفاصيل حياة الأفراد في كل فئة، وعرف نقاط قوة وضعف كل منها، واستطاع ملاحظة الصراع بينها، مما كان له أثر كبير في رسم الشخصيات الاجتماعية في مسرحياته وكتباته [١٥].

يعود ليعقوب صنوع الفضل في إنشاء المسرح في مصر وأُطلق عليه "مؤسس المسرح القومي المصري"، كان صنوع من حاشية الخديوِ إسماعيل المقربة وخاصة

حاشية اللهو والترف، فكان نديمًا ممتازًا لإلمامه بالعديد من اللغات الأجنبية وآدابها، وحديثه ساخر ولديه قدرة على التأليف والتمثيل والإخراج وفن المكياج والتنكر، وبهر الخديوِ إسماعيل بما قدمه من عروض فردية ضاحكة كان يمثل فيها الرجال والسيدات، ويقلد التجار المغاربة والشوام والأتراك، وتطور بعد ذلك في العروض فتحولت من منولوجات فردية إلي ديلوجات ثنائية لعب فيها الدورين، وهذا ما آثار إعجاب الخديوِ فأنشأ له مسرحًا خاصًّا داخل القصر(١٦).

وفي عام ١٨٦٩م فكر في تأسيس مسرح تعرض على خشبته مسرحيات عربية، هدفها الترفيه عن الشعب المصري من ناحية، ومن ناحية آخري توجه توجيهًا وطنيًّا، وتعمل على الارتقاء به من الناحية الاجتماعية، فأنشأ فرقته المسرحية الخاصة، وتولي تدريبها بنفسه مستفيدًا من دراسته الأكاديمية والعملية في إيطاليا، واستطاع أن يهيئ المناخ المناسب لفرقته وأخذ يقدم العروض في الشوارع والحدائق، واستطاع بمساعدة بعض أصدقائه عرض مسرحياته على منصة مقهي موسيقي كبير بحديقة الأزبكية "قاعة الأزبكية"١٨٧٠. (١٧) وسمح له الخديوِ بعرض مسرحياته على خشبة مسرح الخديوِ بقصر النيل، وقدم ثلاث مسرحيات هي " البنت العصرية، الضرتين، غندور مصر" فأُعجب به الخديو ولقبه بـ "موليير مصر" نسبة إلي موليير الفرنسي الشهير مؤسس المسرح في فرنسا (١٨).

وظل سنتين يعرض مسرحياته في القصر (١٨٧١-١٨٧٢) حتي وشي به عند الخديوِ بعض الحاقدين من نجاحه وأعجاب الخديو له، فأشاعوا أن مسرحياته تحمل معاني سياسية خطيرة، وخاصة بعد أن عرض مسرحية "الوطن والحرية" والتي أشار فيها إلي فساد القصر، فأُغلق المسرح بعد أن قدم هو وفرقته اثنين وثلاثين رواية تمثيلية، ومن هنا طرد بن صنوع من النعمة الخديوية. (١٩) والجدير بالذكر، إن بعض الآراء أشارت إلي أن سبب غلق المسرح لم يكن سياسيًّا وأن صنوع أشاع هذا السبب ليكسب الرأي

العام، وأن السبب الحقيقي لغلق المسرح هو الضائقة المالية التي كان يمر بها صنوع بعد فشله في كسب الدعم المالي للمسرح من الخديوِ إسماعيل، حيث كان قد وعده الخديوِ بدعم مسرحه، فخفض من أسعار الدخول، بغض النظر فقد وئد المسرح في مهده [٢٠].

وكان الطابع العام لمسرح ابن صنوع هو تقديم النقد في قالب من الفكاهة والكوميديا، وكانت كتاباته المسرحية النتيجة الأدبية للانصهار بين الثقافات المختلفة ونقطة انطلاق حياته المهنية الأوسع نطاقًا كصحفي، وانقسمت مسرحياته إلي قسمين "الكوميديا ذات النزعة السياسية، والكوميديا ذات النزعة الاجتماعية". بالنسبة للنوع الأول: فقد عرض فيها فساد القصر وأنظمته، وسياسة إسماعيل الفاشلة ومن المسرحيات التي عرضها عن هذا "الوطن والحرية، الجهادي، القرداتي، شيخ الحارة، حكم قراقوش، سلطان الكنوز، الواد، زمزم المسكينه". أما عن النوع الثاني، فانتقد فيه الظواهر الاجتماعية الفاسدة والعادات السيئة في المجتمع المصري، كما تطرق إلي موضوع حرية المرأة ومن المسرحيات التي قدمت في هذا "راستو وشيخ البلد والقواص"[٢١] و"الزوج الخائن" وتطرق إلي مواضيع الحب والزواج، فكتب "أبو ريده وكعب الخير، العليل، بورصة مصر، الأميرة الإسكندرانيه... وغيرها" [٢٢].

وبإغلاق المسرح ضاعت فرصة تطور المسرح المصري إلا إنه كان قد وصل إلي درجة كبيرة من التطور، فأثر يعقوب صنوع ظل باقيًا في عدة نواحٍ هي:

- إنه أول من أدخل التمثيل – تقريبًا– في الأدب العربي في مصر.
- الاقتباس من روائع المسرح الغربي وخاصة الكلاسيكيات الفرنسية ومحاولة تقريبها من الذوق المصري.
- تطويع هذا الفن للأغراض السياسية والاجتماعية ونقدها، وكان صنوع أول من قدم إطارًا أدبيًّا عاميًّا ساخرًا للتقاليد الشعبية على المسرح كما في مسرحيات الظل.

- أدخل ولأول مرة العنصر النسائي في المسرح العربي، بعد أن كان يقوم بدور المرأة والرجل والشاب [٢٣].

ويعد إغلاق المسرح مرحلة فارقه بالنسبة لسياسة يعقوب صنوع تجاه الخديوِ إسماعيل، فقد أغلق الخديو في وجهه أبواب الوظائف العامة وتعقبه المسئولين في الصحف وشُن ضده حربًا حالت دون عمله بأية صحف. فأنشأ يعقوب صنوع جمعيتين علميتين أدبيتين: الأولى سميت "محفل التقدم"، والثانية سميت "محبي العلم والأوطان"، وانتخب لهما رئيسًا. وارتاد هاتين الجمعيتين عدد من رجال الأزهر وضباط الجيش الذين كانوا يحملون إليها مقالات تقرأ على الجمهور، بل وحضر ندواتها عدد من المسلمين واليهود والمسيحيين مما خفف من حدة العصبية الدينية [٢٤].

أقلق نشاط الجمعيتين الخديوِ إسماعيل، حيث خاف أن تكونا نواة للثورة، مما يمثل خطر على حكمه، فأمر بإغلاق الجمعيتين، وبهذا أغلق في وجه يعقوب الباب الثاني للعيش عام ١٨٧٤ [٢٥].

وبدأت حدة الخلاف ما بين الخديوِ إسماعيل ويعقوب صنوع تخف قليلًا بعد سنة من غلق الجمعيتين ١٨٧٥، فقد كان هناك قلة من الحاشية تأمل أن تستقيم الأمور في القصر وأن تتحسن علاقة الخديو بأعدائه ومن بينهم "أحمد خيري باشا مكتوبجي الحضره الخديوية الفخيمة" – كان في هذا العام كبير أمناء الخديوِ – الذي استطاع أن يقنع الخديوِ إسماعيل أن يعقوب صنوع رجل شريف جدير بتقدير الوطن، وأصغي إسماعيل لكبير أمنائه، وأصدر العفو عن صنوع بشرط أن يعتدل في كتاباته وخطبه. ومضي ابن صنوع يتقرب من الخديو مره أخري، وعاد إلي نشاطه في تعليم أبناء الوزراء اللغة الفرنسية والإنجليزية، وظل يندد بفساد القصر والخديوِ في كثير من المحافل [٢٦].

وجد "يعقوب صنوع" أن الكتابة هي وسيلته للتعبير عن رأيه، ولما أوصدت الصحف بابها في وجهه، قرر أن ينشئ صحيفته الخاصة التي يكون فيها محررها

ويكتب فيها ما يشاء، واستعان بالقنصلية الإيطالية – كانت تربطه بالجالية الإيطالية علاقات قوية – في بداية الأمر،[٢٧] فأصدر صحيفة هزلية باللغة الفرنسية أسماها "La Moustique" أي البعوضة، وأخري بالإيطالية سماها "L`Occhialino" أي النظارة، ثم أصدر بعد ذلك صحيفة "Bavard Egyptien" أي الثرثار المصري، وهي أوسع صحف هذا العصر انتشارًا، ولقيت رواجًا كبيرًا في البلاد، فقد أصدرها في ثماني لغات، حتي انتبهت لها الحكومة المصرية وأمرت بإغلاقها[٢٨].

فوجد "يعقوب صنوع" نفسه بدون قرطاس أو قلم، وساءت به الأحوال فنصحه المقربين له أن يستسمح الخديوِ، ويطلب العفو منه، ويتقرب له بالولاء والطاعة مرة أخري حتي يستطيع أن يعيش في البلاد، ولم يجد ابن صنوع مفر من هذا فظل شهرين يظهر ولاءه للخديوِ، حتي أعلن إسماعيل العفو والرضا عنه وسمح له بإصدار مجلة "أبو نظارة" عام ١٨٧٧ [٢٩].

- **مجلة أبو نظارة في مصر:-**

صدر العدد الأول من "مجلة أبو نظارة" في مصر بتاريخ ٢٤ مارس ١٨٧٨ في القاهرة، واسمها الكامل "أبونظارة زرقاء"، وتحت العنوان كتب "جريدة مسليات ومضحكات"، وهي مجلة أسبوعية أدبية وعلمية بها محاورات ظريفة ونوادر لطيفة وفوائد مفيدة ومقالات فريدة وقصائد عجيبة وأدوار غريبة. ولا يوجد أي مكتبة تحتفظ بهذا العدد ولا الأعداد التالية له التي صدرت في مصر وكان عددها خمسة عشر عددًا؛ وهذا لأن الخديوِ إسماعيل أمر بإحراقها [٣٠].

يقال، إن سبب تسميتها بهذا الاسم يرجع إلي اجتماع بين يعقوب صنوع والسيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده لاختيار اسم المجلة، وانفض هذا الاجتماع دون اختيار الاسم المناسب، فخرج يعقوب مغادرًا بيت الأفغاني فاجتمع حوله المكاريه كل منهم يريد أن يختار حمارة ليوصله، ويقول له "هو ده يا أبو

نظارة". فأعجبه الاسم خاصة أن أبا نظارة تعني أنه يري من بعيد، ولا تفوته فائته وتم اختيار الاسم، وقد أعجب به عدد كبير من أصدقائه(٣١).

وقد غلب الطابع المسرحي الهزلي على كتابات المجلة، فعلى الرغم من كونها جديدة على حياة المصريين وصحافتهم، إلا إنها كانت لسان حال المصريين معبره عن مآسي حياتهم، واقتربت من أوجاعهم وآلامهم، فأضحت صورة حية لذلك العصر، ولم تكن المجلة كلها هزلًا باللغة الدارجة فقط، فقد جمعت بين العامية والفصحي وما بين الجد والهزل، فقد كتب لها السيد جمال الدين الأفغاني مما أعطاها وزنًا وثقلًا أدبيًّا وفكريًّا وصحفيًّا، واحتوت المجلة على نقدٍ لازعٍ ضد الفساد والقسوة في جمع الضرائب من الفلاحين، وانتقلت الجريدة عددًا تلو الآخر إلي السياسة لتنتقد بأسلوبها الساخر ولي النعم عن طريق الثناء عليه فيما لا يجب الثناء عليه(٣٢).

وكان يعقوب صنوع حتي العدد الخامس للمجلة ينتقد حاضره بنقد ماضيه، وشجعه انتشار المجلة ونجاحها المتزايد على نقد الخديوِ بشكل أوسع، فأخذ يوجه النقد لشخصية الخديوِ وإسرافه وتدخل الأجانب في الشئون المالية للبلاد بأسلوب ساخر تهكمي ورسوم كاريكاتورية فكاهية، وهذا ما أغضب الخديوِ فأمر بإغلاق المجلة، بل أمر بقتله أكثر من مرة، لكن هذه المحاولات فشلت، وأُشيع أنه قتل فاضطرب الناس فخشي الخديوِ عاقبة هذا، فأمر بظهوره في المدينة لتهدئة الجماهير، ثم أوعز إسماعيل إلي قنصل إيطاليا بطرده من مصر – كان يحظي بحماية إيطالية – وأصدر الخديوِ الأمر بنفيه من مصر فغادر يعقوب ابن صنوع البلاد في الثاني والعشرين من يونيو ١٨٧٨ إلي فرنسا(٣٣).

هاجر "يعقوب صنوع" إلي فرنسا، ووصل إلي باريس ولم يكن يملك من المال ما يعيش به، ولم يستسلم لهذا الفقر واستطاع أن يحصل على عمل معلم للغة العربية للتلاميذ مقابل مبلغ من المال، واستطاع أن يحظي بصحبة نخبة من المثقفين المصريين والفرنسيين الذين أطلقوا عليه "المنفي المصري". واستطاع أن يوسع نشاطه

في التدريس فأخذ يدرس للأجانب اللغة العربية والحساب والفلك والرسم، كما قام بتدريس اللغة الفرنسية لأبناء العرب النازلين في باريس(٣٤).

واستطاع ببلاغته ولباقته في استخدام اللغة الفرنسية وآدابها أن يقوي علاقاته بكثير من أهل الرأي ورجال السياسة من مختلف التوجهات والمذاهب. كما لقي ترحيبًا كبيرًا من جانب الصحف الفرنسية مثل صحف "لوجولوا" "Le Gaulois"، و"الليجارو" "Le Figaro"، كما رحبت به بعض الصحف الإنجليزية أيضًا مثل "الديلي نيوز" "Daily New". وعمل ابن صنوع داعية لمصر في الأوساط الأوروبية، وخاصة الفرنسية. وهكذا كسب في باريس ما هيئ له الظروف ليكمل ما بدأه في مصر، وأصدر عددًا من الصحف الساخرة وصل عددها إلي اثني عشر اسمًا، لا تختلف عن بعضها في المزاج والطابع، ولكن اختلفت في جودة الورق والطباعة، والشكل والحجم. ولكنها جميعًا تتفق في رسالتها وهي الدفاع عن الشعب المصري ووحدة وادي النيل، وحملتها الدائمة ضد حكم الأسرة العلوية والتدخل الأجنبي – خاصة الإنجليزي – في شئون مصر(٣٥).

وواجه "ابن صنوع" في إصدار الصحف في المنفي العديد من الصعوبات منها: دخول الجريدة مصر، فقد عملت الحكومة المصرية منذ عهد إسماعيل على منع دخولها البلاد، فكثيرًا ما اجتمع مجلس النظار، وأصدر قرارًا بمنع دخولها إلي أرض مصر، حتي صدر قانون المطبوعات١٨٨١ ومنعت تمامًا، وهذه القرارات طبقت على أبو نظارة وغيرها من الصحف التي تصدر في الخارج، واشتد المنع مع الاحتلال البريطاني مما اضطره إلي تغيير اسمها أكثر من مرة، والتشديد على الناس عدم قراءة الجريدة وعقاب من يحملها بدفع غرامة كبيره وأحيانًا الحبس. (٣٦) كما إن الحرية الصحفية التي أتاحها كرومر أثناء الاحتلال أدت إلي ظهور هذا اللون من الصحافة في صحف أخري، فكان عليه أن يكافح من أجل بقاء صحيفته خاصة أنه بعيد عن الوطن. كما يذكر ابن صنوع

أيضًا صعوبة الحصول على المعلومات والأنباء، وجشع رسام الكاريكاتير الفرنسيين، وغلاء الطباعة مما أدي إلي عدم انتظام صدور الصحف.

ويرجع ليعقوب صنوع النصيب الأكبر في تحرير صحيفته، فهو المفكر الأول فيما ينشر فيها من رسوم وصور، وكاتبها الوحيد لما يقرب من ثلاثين عام، واعتمد في تحريرها على دراسته الخاصة في موضوعات السياسة المصرية، وما يصل له من معلومات وأخبار من الصحف مثل: جريدتي "الأهرام ومصر"، هذا فضلًا عما يبعث له من أخبار ورسائل وتلغرافات من معجبيه ومعاصريه والوافدين إلي باريس من أهل مصر، فكان لديه شبكة واسعة من العملاء في كل مكان اعتادوا على إبلاغه بآخر الأخبار من خلال إرسال رسائل سرية إلي باريس تحت أسماء مزورة، (٣٧) وكان لصحف ابن صنوع رسام لرسم الأشكال الكاريكاتورية التي تصدر فيها، كما كان له مساعد لكتابة الجريدة على الحجر، ويبدو إن هذا المساعد تغير أكثر من مرة ويلاحظ هذا من تغير جودة الخط بين الجودة والرداءة (٣٨).

من السمات العامة التي تميزت بها صحف يعقوب صنوع – مهما اختلفت أسماؤها وأشكالها وأحجامها – أنها تحتوي على عدد من المحاورات الواحدة التي تتغير في عناوينها وموضوعاتها، وإطلاق الرموز والأسماء الساخرة على الشخصيات السياسية المصرية والإنجليزية في معظم الأعداد تقريبًا، فأطلق على الخديو إسماعيل "شيخ الحارة"، و"فرعون"، و"أبو السباع"، وعلى الأمير توفيق "الواد" و"الواد المرق"، و"الواد الأهبل"، و"الواد اللئيم"، و"فرعون الصغير"، كما أطلق على رياض باشا "أبوريضه"، و"الوزير المشخلع"، و"الديك الرومي"، وعلى نوبار باشا "غوبار باشا"، وعلى اللورد كرومر "اللورد كرنب"، وعلى اللورد كتشنر"اللورد كشنكار"، وأطلق على الخليفة العثماني "شيخ التمن" وأطلق على كليفورد لويد(**) "البلاص كليفورد"، وعلى الجنرال هكس(***) "الجنرال أخص" أو "هلس"(٣٩).

كما قدم فيها رسوم كاريكاتورية مصورة إلي مصر، وتعد "حداثة" استوردها من أوروبا، والتي سرعان ما استحوذت على انتباه قرائه وكانت عاملًا رئيسًا لنجاح مجلته، ومن الواضح أنه أدرك الإمكانات الهائلة للبلاغة المرئية، لذلك استخدم الرسوم الكاريكاتورية بكثرة حيث إنه كان على استعداد لإيصال رسالته وإيصال النقد السياسي حتي للأميين الذين لا يستطيعون القراءة أو الكتابة.

استخدام الكلمات القاسية واللغة غير المصقولة الخام، هذه هي الطريقة التي من خلالها استقطب جمهورًا واسعًا بسبب لغته السهلة الفهم، بالإضافة إلي تعليقاته الساخرة التي ترضي ذوقهم الفكاهي، وفي الوقت نفسه استخدم بمهارة لهجات عربية مختلفة خاصة تلك التي يستخدمها الفلاحون في جميع أنحاء مصر، كما لعب على وتر التدين لدي المصريين واستخدم دائمًا خطابًا غنيًا بالكلمات مع الكتب الدينية لجذب جمهوره، على الرغم من أصله غير المسلم، فقد استعار العديد من الأقوال المستخرجة من القرآن الكريم أو من أقوال النبي صلي الله عليه وسلم أو على الأقل أصلها في الثقافة الإسلامية، ولم يمانع صنوع من استخدام كلمات وتعليقات وأوصاف فاحشة جدًّا حطمت كل المحرمات في عصره وأحيانًا أساءت إلي المشاعر طالما أنها خدمت أغراضة خاصةً في استهداف سمعة خصومه(٤٠).

أما عن الصحف الساخرة التي أصدرها يعقوب صنوع في باريس، فهي "رحلة أبو نظارة زرقا الوالي ١٨٧٨، أبو نظارة زرقا ١٨٧٩، النظارات المصرية ١٨٧٩، أبو صفارة ١٨٨٠، أبو زمارة ١٨٨٠، الحاوي١٨٨١، أبو نظارة لسان حال الأمة المصرية الحرة ١٨٨١، أبو نظارة زرقاء لسان حال الأمة المصرية الحرة ١٨٨٢، أبو نظارة زرقا ١٨٨٣، الوطني المصري ١٨٨٣، أبو نظارة مصر للمصريين ١٨٨٥". بالإضافة إلي ثلاث من الصحف الجادة، وهي صحيفتي "التودد" و"المنصف" عام ١٨٩٩، وصحيفة "العالم الإسلامي" ١٩٠٧(٤١) .

- **صحيفة "رحلة أبو نظارة زرقا الوالي":-**

صدرت هذه الجريدة في السابع من أغسطس عام ١٨٧٨؛ أي بعد حوالي شهرين من نفي يعقوب صنوع إلي باريس، وهي جريدة أسبوعية صدر منها ثلاثون عددًا، كل عدد منها في أربع صفحات، مزودة برسوم كاريكاتورية ساخرة. اشتراكها خمسة وعشرون فرنك للثلاثين نمرة تدفع لأي بنك فرنسي أو ترسل إلي أبو نظارة بيضاء في الإسكندرية، وثق فيها رحلته التي تبدأ من الإسكندرية، مرورًا بمالطا حتي وصل إلي باريس واستقر هناك [٤٢].

- **صحيفة "أبو نظارة زرقا":-**

أحيانًا كانت تكتب "أبي نظاره زرقا"، وهي صحيفة أسبوعية أدبية علمية بها محاورات ظريفة ونوادر لطيفة ومواعظ مفيدة، ومقالات فريدة، وقصايد عجيبة وأدوار غريبة. صدرت في الفترة التي عُزل فيها إسماعيل وتولي توفيق حكم مصر. وهي امتداد للصحيفة التي سبقتها، وقد اضطر يعقوب صنوع لتغيير اسمها بعد الإرهاب الصحفي الذي شنه رياض باشا على الصحف المصرية ١٨٧٩، وذكر يعقوب صنوع في آخر أعدادها أنها سوف تتوقف لتصدر جريدة النظارات المصرية [٤٣].

- **مجلة "النظارات المصرية":-**

صدرت في السنة الرابعة من صدور صحف يعقوب صنوع، تحديدًا في ١٦ سبتمبر لعام ١٨٧٩، وهى جريدة تاريخية علمية تحرير مصر والإسكندرية. تشبه سابقتها في التحرير والإنشاء إلا إن موضوعاتها اختلفت، وطبعت على الحجر في خط جميل. وظهر في أولها رسم يمثل فكرة سياسية، وتختلف عن سابقتها فى أنها تشبه الكتاب الصغير، أما أبو نظارة زرقا فتشبه المجلات المعاصرة، وصدر منها عشرة أعداد فقط تخصصت في نقد كل من رياض باشا ونوبار باشا [٤٤].

- **صحيفة "أبو صفارة":-**

صدرت في العام الرابع من تاريخ صحف يعقوب صنوع، صدر العدد الأول منها في ٤ يونيو ١٨٨٠ أي بعد اختفاء النظارات المصرية بحوالي ثلاثة أشهر، ويمكن القول أنها وصلت ما انقطع من مجلة أبونظارة زرقا. وهى "جريدة هزلية أسبوعية لانبساط الشبان المصرية يحفظهم رب البرية من المظالم الفرعونية، منشأها محب الاستقلال والحرية". ولم يصدر منها سوى ثلاثة أعداد فقط، وأمرت الحكومة المصرية بمصادرتها، فتعذر إصدارها مرة أخري بهذا الاسم.

- **مجلة "أبو زمارة":-**

إحدي صحف الضرورة التي كان يصدرها يعقوب صنوع بعد وقف أي من صحفة بأوامر الخارجية المصرية ليسهل دخولها إلي مصر، وهي من حيث الشكل والمضمون تتفق مع صحيفة أبو صفارة وإن غلبت عليها العامية المسجوعة. لم يصدر منها سوي ثلاثة أعداد مثل سابقتها، ركز فيها على النقد الساخر للخديو توفيق(٤٥).

- **مجلة "الحاوي":-**

وهي أيضًا من مجلات الضرورة، صدر منها عدة أعداد كل خمسة عشر يومًا يصدر عدد، صارت على نفس سياسة صحف ابن صنوع، صدر العدد الأول منها في ٥ فبراير ١٨٨١ تحت عنوان "الحاوي الكاوي اللي يطلع من البحر الداوي عجايب النكت للكسلان والغاوي ويرمي الغشاش في الجب الهاوي"، وسبق صدورها كراسة صغيرة سميت بـ "مقدمة الحاوي" في مائه واثنين وعشرين صفحة، شملت موضوعات عديدة منها فصلًا عن مجلة الحاوي باللغة الشامية، وفصولاً عن السياسة الخارجية وغيرها من الموضوعات، وتميزت باحتوائها على أربع رسوم توضيحية في

كل قضية لتسلية الناس واضحاكهم، كما تتميز أعداد الحاوي بتسجيلها لمقدمات الثورة العسكرية، فكادت تتخصص في الثورة العرابية [٤٦].

- **صحيفة "أبونظارة لسان حال الأمة المصرية الحرة":-**

صدرت هذه الجريدة بعد مصادرة الحكومة المصرية لمجلة الحاوي، وصدر العدد الأول منها في السنة الخامسة لصحف بن صنوع. بعض أعدادها صدر في ثماني صفحات والبعض الآخر في اثنتي عشرة صفحة، أما أغلب أعدادها كان في أربع صفحات كباقي صحف بن صنوع. وشعارها هو "لسان حال الأمة المصرية الحرة". وتميزت ببعض المقالات الأدبية عن الثورة العرابية والتي نشرها يعقوب صنوع منذ العدد الثاني [٤٧].

- **صحيفة "أبو نظارة زرقاء.. لسان حال الأمة المصرية الحرة":-**

صدرت في السنة السادسة لصحف يعقوب صنوع، وتحديدًا في ٢١ أبريل عام ١٨٨٢، فمنذ العدد الثامن لصحيفة "أبونظارة لسان حال الأمة المصرية الحرة" تغير اسمها إلي "أبو نظارة زرقاء.. لسان حال الأمة المصرية الحرة". وتميزت هذه الجريدة بصدورها باللغتين العربية والفرنسية، فكثيرًا ما طغت ترجمة فرنسية على المتن العربي. ومن الأمور التي استحدثت لأول مرة أيضًا نشر نعي ساخر لم يراع فيه هيبة الموت. [٤٨] وتخلل أعداد هذه الجريدة عدد واحد تحت عنوان "أبو نظارة مصر للمصريين" ولم يحمل رسالة أو معني جديد أكثر مما أنطوت عليه الجريدة، وهو تذكير بما كتبه منذ ستة أشهر. ثم صدرت الجريدة مرة أخرى باسمها الأصلي لعدد واحد لتختفي بعد ذلك عبارة "لسان حال الأمة المصرية الحرة" لتصدر باسم "أبو نظارة زرقا" [٤٩].

- **صحيفة "أبو نظارة زرقا":-**

صدرت في العام السابع لصحف يعقوب صنوع، وبالتحديد ١٩ يناير عام ١٨٨٣، وتميزت هذه الصحيفة بكثرة الرسوم، فكانت تحتوي على رسمين في الصفحة

الأولي والأخيرة. تميزت هذه الجريدة بأنها سجل مهم لأحداث مصر، وتحسن الخط، وأصبحت الكتابة في نهرين، كما شملت باب جديد في السياسة وآخر للتلغرافات الخصوصية، وهي برقيات من المؤلف تحوي العديد من الشتائم والسخرية. ولم تحتوِ الصحيفة كسابقتها على ترجمة فرنسية لمدة عامين، وإن لم تخلو من تعليق باللغة الفرنسية على الرسوم والصور(٥٠).

- **صحيفة "الوطني المصري":-**

اضطر يعقوب صنوع إصدار هذه الصحيفة بعد مصادرة مجلس النظار لصحيفة "أبو نظارة زرقا"، صدر العدد الأول منها في ٢٩ سبتمبر ١٨٨٣ أي بعد مضي عام من الاحتلال البريطاني لمصر، وهي من حيث الشكل والحجم والموضوع "تشبه أبو نظارة زرقا"، وتميزت باحتوائها لأول مرة على ترجمة إنجليزية لبعض المقالات التي كتبت بالعربية، وكان اسم الجريدة يكتب باللغة العربية محاطًا بترجمة إنجليزية "The Egyptian Patriot"، كما شملت الترجمة اسم الناشر وقيمة الاشتراك وتاريخ الصدور. (٥١)

ذكر ابن صنوع أنه سيصدر منها اثني عشر عددًا، وفي الواقع لم يصدر منها سوي عددين فقط حتي استطاع أن يرتب أموره في كيفية دخول جريدة أبونظارة زرقا مصر، وأصدر جريدة أبو نظارة زرقا بعد شهرين من صدور الوطني المصري، وكانت الوطني المصري تصدر في ست صفحات بدلًا من أربعة، وغلبت عليها أخبار المعارك في السودان، كما شملت الرسائل التي وردت لابن صنوع من "الجمعية الوطنية السرية بالقاهرة" (٥٢).

- **صحيفة "أبو نظارة .. مصر للمصريين":-**

صدر العدد الأول للصحيفة في ١٠ يناير ١٨٨٥، واستمرت حتي عام ١٩١٠ حيث صدر العدد الأخير منها، أي إنها استمرت نحو ست وعشرين عامًا. تقلبت فيها بين الكمال والنقص وبين القوة والضعف في شكلها وموضوعاتها. وتُعد هذه الصحيفة أنضج ما صدر من صحف يعقوب صنوع في الشكل والموضوع والرسم

والخط والإملاء والأسلوب والفكرة حتي في طريقة تحريرها. ومنذ ١٨٨٥ يلاحظ وجود ما يشبه دار للنشر. وقد خصص فيها ابن صنوع جزءًا ينشر باللغة الفرنسية في الصفحة الأولي والرابعة، وفي بعض الأحيان طغت اللغة الفرنسية على اللغة العربية رغبة منه أن يُعرِّف الأوروبيين بما يحدث في مصر. (٥٣)

تغير اسم الجريدة أكثر من مرة، ففي عام ١٨٨٦ تغير اسمها إلي "أبو نظارة ستبدي لك ما كنت جاهلًا ويأتيك بالأخبار ما لم تزود" ثم عادت عام ١٨٨٧ لاسمها الأول، ثم تغير طفيف عام ١٨٩١، وتغير ملحوظ في عام ١٨٩٣، وأيضًا في عامى ١٩٠٤ و١٩٠٧، والجدير بالذكر، إن هذا التغير لم يشمل شكلها أو طبعها أو حجمها. وتميزت بالرسوم الملونه وهذه الرسوم لم تشمل كل الأعداد، فقد اختفت وعادت بعد سبع سنوات، إلا إنها ظلت تصدر بالرسوم الأبيض والأسود.(٥٤) وتميزت بالورق الجيد وطبعت بعض أعدادها على ورق أبيض. ولم تصدر بانتظام فحينًا تصدر كل شهر وحينا آخر كل نصف شهر من عام ١٨٨٥ إلى ١٨٩٠، وصدرت فى بعض الأحيان أربع مرات فقط في السنة.(٥٥)

وتميزت هذه الصحيفة في بعض أعدادها أنها طُبعت بحروف مطبعة، إلا إنها في أغلبها كتبت بخط اليد، وقد اختلف هذا الخط في بعض الأعداد بالرغم من أن يعقوب صنوع هو محررها الوحيد إلا إنه اشترك في كتابتها كثير من الشرقيين وكذلك رسومها. ولوحظ فيها كتابات لآخرين أفصحوا عن أسمائهم ومنهم "القس لويس صابونجي صاحب مجلة النحلة". وكانت سياسة الصحيفة هي نفس سياسة يعقوب صنوع الصادقة في السخرية والنقد اللاذع.

وهدأت حماسة صحف يعقوب صنوع بعد أن بلغت الثلاثين من عمرها، وكان للسن والمرض دخلاً في ذلك، فقد أشار يعقوب صنوع منذ عام ١٩٠٦ أنه لم يعد قادرًا على الكفاح، حتي حلت سنة ١٩١٠ وهي السنة التي مرض فيها ولازم الفراش لمدة عامين

حتي توفي ١٩١٢. وأعلن في العدد الرابع أنه سوف يكون آخر أعداد الصحيفة وجاء تحت عنوان "آخر عدد صادر من هذه الجريدة التي بأنظار عشاقها عاشت لليوم سعيدة" (٥٦) .

هذه إذًا سلسلة صحف يعقوب صنوع الممثل الثائر والصحفي الساخر إمام الصحافة الفكاهية الأول في مصر دون منازع. وأخيرًا لابد من توضيح أن صحف صنوع ومسرحه كان لهما الفضل الكبير في نشر مبادئ الحرية والاستقلال والحكم الوطني الذاتي بين أفراد الشعب، والتي كان لها أثر واضح في إبراز القومية المصرية(٥٧).

middle-east2017@hotmail.com
مركز بحوث الشرق الأوسط
M.E.R.C
ISSN 2536-9504

الهوامش

(١) علاء الدين وحيد: صحافة الفكاهة وصانعوها (مج ٨، ع٨، مجلة الآداب، القاهرة، ١٩٦٤) ص٥٢٨.

(٢) نفسه: ص٥٢٩.

(٣) إبراهيم عبده: الصحفي الثائر (روزاليوسف، القاهرة، ١٩٥٥) ص ص١٠:١١؛ سامي عزيز: الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨) ص٢٨؛

Doaa Adel Mahmoud Kandil: The Forerunner of Egyptian Satirical Press, Journal of the Association of Arab Universities for Tourism and Hospitality, vol.13, No.1 (Jun., 2016), p.9.

(٤) محمد الساكت: الصحافة الفكاهية في مصر (مقال منشور بمجلة الهلال، عدد أغسطس ١٩٧٤) ص ١٠٠؛ علاء الدين وحيد: المرجع السابق، ص٥٣٢.

(٥) سامي عزيز: المرجع السابق، ص ص٢١:٢٢.

(6) E.U. Ettmueller: "Abu¯ Nazzara's Journey from Victorious Egypt to Splendorous Paris: The Making of an Arabic Punch", in Hans harder & Barbara Mittler (eds.), Asian Punches A Transcultural Affair, Heidelberg, 2013, p.220;

إبراهيم عبده: أعلام الصحافة العربية (ط٢، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٤٨) ص٢٧؛ سامي عزيز: المرجع السابق، ص ص٢٧:٣٠.

(٧) علاء الدين وحيد: المرجع السابق، ص٥٣٢.

(٨) نفسه، ص ٥٣٣؛ سامي عزيز: المرجع السابق، ص ص١١٨:١١٩.

(٩) التتكيت والتبكيت: العدد الأول في ٦ يونيو ١٨٨١، ص٣؛ صلاح عيسي: الثورة العرابية ومسألة السلطة: جهاز دولة ديمقراطي (مجلة الكاتب، القاهرة، مج١٢، ع١٣٥، يونيو ١٩٧٢) ص١٠١؛ علاء الدين وحيد: المرجع السابق، ص٥٣٤.

(10) Ettmueller, E.U., Op.Cit, p.220

(١١) رامي عطا صديق: الصحافة المصرية في القرن التاسع عشر.. تاريخها وافتتاحيتها (مكتبة الشرق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٦) ص٢٧؛

Modern Arabic Literature: A Historical, Political and Cultural Background, p.31

انظر:

https://shodhganga.inflibnet.ac.in/bitstream/10603/104470/9/09_chapter%201.pdf

للمزيد عن علاقة يعقوب صنوع بالسيد جمال الدين الأفغاني راجع: Doaa Kandil, OP.Cit, p.10

(١٢) يذكر يعقوب صنوع أنه مات لأمه أربعة أطفال، قبله فما أن علمت بحملها له نصحتها صديقتها أن تذهب إلى شيخ مسجد الشعراني فعنده التمائم والتعاويذ والمحصنات ضد موت الأطفال وأنه قريب إلى الله، فإذا استجار به من أجلها وقُبلت شفاعته أبقي جنينها. وذهبت الأم إلي الشيخ وبشرها أنها سوف تلد ولد، وأنها إذا نذرته للدفاع عن الإسلام فسوف يعيش، كما أمرها بكسائه من حسنات المؤمنين ليكون متوضعًا وسوف يجد ما يريد بفضل بركة خالقه. ونفذت الأم وصية الشيخ بحذافيرها، ويذكر ابن صنوع أنه حين كبر حفظ القرآن وعاهد أمه على تنفيذ نذرها وأن يكرس نفسه لخدمة الإسلام والمسلمين. راجع: إبراهيم عبده: أبو نظارة إمام الصحافة الفكاهية المصورة وزعيم المسرح في مصر ١٨٣٩-١٩١٣ (مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٥٣) ص١٨ وما بعدها؛ نفس المؤلف: الصحفي الثائر، ص ص ١٣:١٤.

(١٣) نرمين سعد الدين إبراهيم: يعقوب صنوع رائد النهضة المسرحية (مجلة المقتطف المصرى التاريخية، الإصدار الأول، مؤسسة دراسات سياسية تاريخية، السنة الأولى ع٣، أكتوبر ٢٠٠٩) ص٥٧؛ Doaa Kandil, OP.Cit, p10 للمزيد عن حياة يعقوب صنوع في مدينة ليفورنو Livorno في إيطاليا، وتجربته الإيطالية وروابطه اليهودية الماسونية انظر:

Angela Daiana Langone: L'Arabo Anziano (The Old Arab) A Forgotten Book by Yaʿqūb Ṣanūʿ, Rhesis International Journal of Linguistics, Philology and Literature, Literature, vol.7.2, 2016, pp.50-87.

(١٤) إبراهيم عبده: أبونظارة، ص ص٢١:٢٤؛

Matti Moosa: Ya'qub Sanua' the Rise of Arab Drama in Egypt, International Journal of Middle East Studies, vol.5, No.4 (Sep., 1974), p 402; Ziad Adel Fahmy: Popularizing Egyptian Nationalism: Colloquial Culture and Media Capitalism, 1870-1919, Ph.D. Dissertation, Graduate College, University of Arizona, 2007, pp.90-91; Ettmueller,E,U., Op.Cit, p.225.

(١٥) نرمين سعد الدين: المرجع السابق، ص٥٧.

(١٦) عبدالله أحمد عبدالله: الصحافة الفكاهية في مصر (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣) ص ص٥:٦؛ كان لثقافة الخديوِ إسماعيل أثر واضح في اهتمامه بالحياة الفنية وتشجعيها، لذلك شجع المغنيين والصحف وأنشأ دار الأوبرا ومسرح صغير بحديقة الأزبكية، راجع: وائل إبراهيم الدسوقي: التاريخ الثقافي لمصر الحديثة "المؤسسات العلمية والثقافية في مصر في القرن التاسع عشر" (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٥) ص ص٥٨:٦١؛

Adam Mestyan: Arabic Theater in Early Khedivial Culture, 1868-72: James Sanua Revisited, International Journal of Middle East Studies, vol.46, Issue 1, (Feb., 2014), pp.117-118.

(١٧) بدأ بناء مسرح حديقة الأزبكية ١٨٦٩، في نفس مكان مسرح الجمهورية والفنون – أيام الحملة الفرنسية – وتم افتتاحه ١٨٧٣. للمزيد سيد علي إسماعيل: تاريخ المسرح في مصر في القرن التاسع عشر (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨) ص٤٥؛ Doaa Kandil, OP.Cit, p.10

(١٨) عماد أبو غازي: الرقابة في مصر قراءة في التاريخ (بحث منشور في كتاب في محبة التاريخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٦) ص٤٨٠.

(١٩) كانت مسرحية الضرتين – التي نقد فيها صنوع تعدد الزوجات – بداية للخلاف بين الخديوِ إسماعيل وصنوع إلا إنها لم تكن السبب الرئيس الذي جعل الخديو يأمر بغلق المسرح ١٨٧١، فقد كشف صنوع في مذكراته غير المنشورة أن الإلغاء القصري للمسرح نتج عن شعور الممثلين البريطانيين بالإهانة؛ بسبب مسرحية "السواح والحمار"، فضغطوا على السلطات البريطانية للضغط على الخديو لإلغاء المسرح، كما إن الخديوِ رأي أن الهدف من المسرح لم يكن واضحًا ولم يكن له من يرشده ويوجهه لذلك أمر بغلقه.

Ettmueller, E,U., Op. Cit, p.226; Doaa Kandil, OP.Cit, p.11; Matti Moosa, Op.Cit, p.406; Amr Zakaria Abd Allah: The Theory of the Theatre for Egyptian nationalists in the first quarter of the twentieth century, Quaderni di Studi Arabi, Nuova Serie, vol.4, 2009, p.199;

نرمين سعد الدين: المرجع السابق، ص ص٥٧:٥٨؛ جريدة أبو نظارة مصر للمصريين، العدد الثاني، بتاريخ ٢٨فبراير لسنة ١٨٨٧، ص٢:٣.

([20]) Doaa Kandil, OP.Cit, p11; M.M. Badawi: The Father of the Modern Egyptian Theatre: Ya'qub Sannu, Journal of Arabic Literature, vol.16, 1985, p.134; Matti Moosa, Op.Cit, p.405.

(٢١) وهو أوبريت هزلي يعتمد أساسًا على الأغنية والموسيقي.

(22) Ettmueller, E,U., Op. Cit, p.222; Adam Mestyan, Op. Cit, pp.123-125;

نرمين سعد الدين: المرجع السابق، ص٥٨؛ إبراهيم عبده: أبو نظارة، ص ص٢٥:٣٣.

للمزيد عن مسرحيات يعقوب صنوع انظر:

M.M. Badawi, Op.Cit, pp136-144; The Unfaithful Husband by James Sanua, trans. Marvin Carlson & Stefano Boselli, Arab Stages, vol.8 (Spring, 2018), pp.1-28.

(23) Ettmueller, E,U., Op. Cit, pp.222-225.

أحمد حمروش: قصة الصحافة في مصر (دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٩) ص٣٢؛ إبراهيم دردير: تأثير أبو نظارة في تطوير الوعي بالمسرح، (مجلة الكاتب، القاهرة، مج١٥، ع١٧٤، ١٩٧٥) ص ص٥٠:٥٣.

(٢٤) ويري البعض أن هاتين الجمعيتين كانتا نواة للحزب الوطني القديم. عادل أمين الصيرفي: صحافة الفكاهة وصحافيوها في مصر منذ نشأتها حتي عام ١٩٢٥ (رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم الصحافة، جامعة القاهرة، ١٩٧٢) ص ص٩٦:٩٧؛ أبو نظارة مصر للمصريين، العدد الثاني السنة الحادية عشرة، بتاريخ ٢٨ فبراير ١٨٨٧، ص٣؛ Ziad Adel Fahmy, Op.Cit, p.94

(٢٥) إبراهيم عبده: أبو نظارة، ص ص٣٤:٣٥.

(٢٦) نفسه، ص ص٣٥:٣٧.

(٢٧) أراد صنوع استغلال أصوله الإيطالية، واستغلال العلاقات التي كونها في إيطاليا أثناء سفره هناك للتمتع بالحماية الإيطالية في مصر، ولكن هذه الحماية لم تساعده كثيرًا. راجع: Doaa Kandil, OP.Cit, p.16

(٢٨)عادل أمين الصيرفي: المرجع السابق، ص ص٩٧:٩٨.

(٢٩) إبراهيم عبده: أبونظارة، ص٤٠؛ Doaa Kandil, OP.Cit, p.12

(30) Ettmueller, E,U., Op. Cit, p.220;

صفاء أحمد ياسين: تطور المؤسسات التعليمية والثقافية في مصر في عهد الخديو إسماعيل ١٨٦٣-١٨٧٩ (رسالة ماجستير، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٩٨) ص١٦٤؛ إبراهيم عبده: أبو نظارة، ص٤١.

(٣١) حامد الشافعي: صحف أبو نظارة دراسة ببلوجرافية (رسالة المكتبة، الأردن، مج١٤، ع١، ١٩٧٩) ص٦؛

Doaa Kandil, OP.Cit, p.11; Matti Moosa, Op.Cit, p.403.

(٣٢) أحمد حمروش: المرجع السابق، ص ص٤٤:٤٥؛ إبراهيم عبده: أبو نظارة، ص ص٥٢:٥٤.

(٣٣) سامي عزيز: المرجع السابق، ص٢٩؛ صفاء أحمد ياسين: المرجع السابق، ص١٦٤؛ Matti Moosa, Op.Cit, pp.410-412

(٣٤) مجلة النظارات المصرية، العدد السابع السنة الأولي، بتاريخ ١٨ مارس ١٨٨٠، ص١٥؛ بول دبينيير: ألبوم أبو نظارة يعقوب صنوع (ترجمة: حمادة إبراهيم، المركز القومى للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية، القاهرة، ٢٠٠٩) ص٥٨؛ إبراهيم عبده: أبو نظارة، ص ص٦٥:٦٨.

(٣٥) عادل أمين الصيرفي: المرجع السابق، ص ص١٠٨:١١٠.

(٣٦) وثائق مجلس النظار، نظارة الداخلية، محفظة ١/١، ملف ١، بتاريخ ٧ يوليو ١٨٨٢، الكود الأرشيفي ٠٠٠٠٠١- ٠٠٧٥؛ تحايل يعقوب صنوع لدخول الصحف مصر رغم أنف البريد، فكان يرسلها في كراسات الموسيقي والمجلات المصورة، وفى الصحف التي تنشر صور للخديو، ويقال أنه هرب بهذه الطريقة أكثر من ألف نسخة، وأنه في إحدي المرات، أرسل للخديو نسخة في إحدي المجلات المصورة. سامي عزيز: المرجع السابق، ص٤٢. وقد ذكر نينيه أنه كان يقوم بتوزيع المجلة النقديه المحظورة التي كان يصدرها الصحفي صنوع بالعربية الدارجة في منفاه في باريس والتي كانت تحتوي على رسوم الكاريكاتير التي تناسب ذوق الفلاحين. جون نينيه: رسائل من مصر ١٨٧٩-١٨٨٢ (ترجمة فتحي العشري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥) ص٥٨؛ أبي نظارة زرقاء، العدد الرابع عشر السنة الثالثة، بتاريخ ٢٤يونيو ١٨٧٩، ص٤؛ Doaa Kandil, OP.Cit, pp.16-17

(٣٧)جريدة أبي نظارة مصر للمصريين، العدد السابع السنة السابعة عشر، بتاريخ ٢٤ مايو ١٨٩٣، ص٢؛ عادل أمين الصيرفي: المرجع السابق، ص ص١١٣:١١٤؛ إبراهيم عبده: أبو نظارة، ص ص٧٧:٨٣؛ Doaa Kandil, OP.Cit, p.13.

(٣٨) كان أسوأ هذه الخطوط هو خط يعقوب صنوع نفسه، فكان خطًّا معقدًّا يصعب قراءته. عادل أمين الصيرفي: المرجع السابق، ص١١٥.

(**) كيلفورد لويد: مفتش لإصلاحات وزارة الداخلية من سبتمبر ١٨٨٣ لمدة ستة أشهر، ووكيل نظارة الداخلية عام ١٨٨٤م، وطغت سلطته على سلطة نوبار باشا. للمزيد عبدالرحمن الرافعي: مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال "تاريخ مصر القومي ١٨٨٢-١٨٩٢" (ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣) ص ص١٦٤:١٦٦.

(***) هكس: هو أحد جنرالات الجيش الإنجليزي والذي قام بحملة على السودان للقضاء على الثورة المهدية وفشلت الحملة وهزم. للمزيد انظر: نفسه، ص ص١١٦:١١٩.

(٣٩) آمنة حجازي: الوطنية المصرية في العصر الحديث نشأتها وتطورها حتى عام ١٩١٤ (رسالة ماجستير، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٩٨) ص٨٨؛ عادل أمين الصيرفي: المرجع السابق، ص١١٥؛ رامي عطا صديق: المرجع السابق، ص٢٨؛ Ettmueller, E,U., Op. Cit, pp. 231-235; M.M. Badawi, Op.Cit, p.135

(40) Doaa Kandil, OP.Cit, pp.13-14.

يعد صنوع أبو الكاريكاتور المصري، فهو أستاذ الكاريكاتير الحواري أو الديالوجى، فلم يكن يرسم ليعبر عن هموم الناس، بل ليصنع حالة من الجدل حول حوارات الشخصيات التي رسمها،

والتي تقدم نقدًا للحالة السياسية التي تعيشها مصر. راجع عيد عبد الحليم: الكاريكاتير المصري من يعقوب صنوع إلي جيل الثورة (مقال منشور بمجلة أدب ونقد، ع ٣٥٠، أبريل ٢٠١٦) ص٥.

(٤١) جمال الدين الرمادي: صحافة الفكاهة وصانعوها (الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت) ص ص١٩:٢٠؛ عادل أمين الصيرفي: المرجع السابق، ص١١٦ وما بعدها؛ إبراهيم عبده: أعلام الصحافة، ص٥٥.

(٤٢) جريدة رحلة أبونظارة زرقا الولي، العدد الأول السنه الثانية، بتاريخ ٧أغسطس١٨٧٨، ص٤؛ أحمد حمروش: المرجع السابق، ص٥٤؛ إبراهيم عبده: أبو نظارة، ص٨٥؛ Doaa Kandil, OP.Cit, p.14

(٤٣) عادل أمين الصيرفى: المرجع السابق، ص ص١٢١:١٢٢؛ إبراهيم عبده: أبو نظارة، ص ص١١٠:١١١.

(٤٤) إبراهيم عبده: أبو نظارة، ص ص١١٢:١١٥.

(٤٥) عادل أمين الصيرفى: المرجع السابق، ص ص١٢٦:١٢٩؛ أحمد حمروش: المرجع السابق، ص٥٥؛ Doaa Kandil, OP.Cit, p.14

(٤٦) مقدمة الحاوي، السنه الخامسة ١٨٨١، ص١١٦؛ إبراهيم عبده: أبونظارة، ص ص١٣٣:١٣٦؛ أحمد حمروش: المرجع السابق، ص٥٥؛ Doaa Kandil, OP.Cit, p.15

(٤٧) عادل أمين الصيرفي: المرجع السابق، ص١٣٣.

(٤٨) كان نعى لـ "شاهين باشا" من كبار رجال إسماعيل وأحد خصوم يعقوب صنوع، وكان النعي مليئ بالسخرية اللازعة نُشر باللغة العربية والفرنسية. راجع جريدة أبو نظارة زرقاء لسان حال الأمة المصرية الحرة، العدد التاسع السنة السادسة، بتاريخ ١٢ مايو ١٨٨٢، ص٢؛ إبراهيم عبده: أبو نظارة، ص١٤٧؛ عادل أمين الصيرفى: المرجع السابق، ص ص١٣٤:١٣٥.

(٤٩) إبراهيم عبده: أبونظارة، ص١٥٠.

(٥٠) عادل أمين الصيرفي: المرجع السابق، ص١٣٧؛ إبراهيم عبده: أبو نظارة، ص١٥١.

(٥١) إبراهيم عبده: أبو نظارة، ص١٦٢.

(٥٢) حامد الشافعى: المرجع السابق، ص٧؛ عادل أمين الصيرفى: المرجع السابق، ص١٤٠.

(٥٣) إبراهيم عبده: أبو نظارة، ص١٦٧.

(٥٤) عادل أمين الصيرفى: المرجع السابق، ص ص١٤١:١٤٢.

(٥٥) ويرجع عدم صدورها بانتظام لكبر سن يعقوب صنوع وضعف بصره، وكثرة أشغاله في التعليم والترجمة، وانشغاله في إلقاء الخطب في المحافل الأدبية والسياسية، كما إنه كان يصدر صحف أخرى في نفس الوقت. عادل أمين الصيرفي: المرجع السابق، ص١٤٢.

(٥٦) إبراهيم عبده: أبو نظارة، ص١٧٠، ١٧٢، ١٨٠؛ Matti Moosa, Op.Cit, pp.415-416

(٥٧) للمزيد عن دور يعقوب صنوع في نشأة القومية المصرية وتطورها انظر:

Irene L. Gendzier: James Sanua and Egyptian Nationalism, Middle East Journal, vol.15, No.1 (winter, 1961), pp.16-28.

middle-east2017@hotmail.com
مركز بحوث الشرق الأوسط
M.E.R.C
ISSN 2536-9504